مجلة العلوم الانسانية الدولية، ١٤٣٤/٢٠١٣ هـ.ق، العدد ٢٠ (٣) ٣٦-١٩

المواقف التربوية و النّزعات الإصلاحيّة فى أدب ابن المقفع

سيّد فضل الله ميرقادرى[١]، ليلا جمشيدى[٢]

تاريخ الوصول: ١٤٣٤/٣/٢٤ تاريخ القبول: ١٤٣٤/٩/١٥

إنّ الجانب التربوي من الجوانب الهامة في الأدب، فهناك أدباء يتصف أدبهم بالجوانب الأخلاقية و التربوية يتناولون سلوك المرء في مجالات الحياة و يهتمون في أدبهم ببعض القضايا المتعلقة بالتربية؛ و منهم ابن المقفع الذي اهتم الباحثون اهتماما بالغاً بكشف جوانب هامة من فكره في مجال الدراسات اللغوية و البلاغية؛ إلا أنّ الجانب التربوي من فكره لم يحظ بتلك العناية. و مما يلفت النظر هو تركيز ابن المقفع في آثاره علي الجانب التربوي و محاولته وضع الأهداف التربوية في أدبه، ثم تقديم المناهج التي تحقق تلك الأهداف من خلال تحديد المبادئ التي عمل على توضيحها و التأكيد عليها و على إصلاح الإنسان و استقامته. يهدف هذا المقال باعتماده منهج تحليل النصّ، إلى دراسة و تحليل أهم الآراء و الأفكار و المبادئ التربوية عند ابن المقفع من خلال استقراء آرائه المبثوثة ضمن كتاباته و رسائله. و قد توصّل البحث أخيراً إلى أنّ ابن المقفع الأديب كان من الأدباء المربين و المصلحين و عمل في المجالين النظري و العملي، و الجانب التربوي الذي تطرّق إليه خير نموذج لكي يرشد المجتمع الإنساني إلى حياة أفضل تضمن له سعادة الدارين.

المفردات الرئيسية: ابن المقفع، الأدب التربوي، الإنسان، المجتمع الإنساني.

[١]. الأستاذ المشارک بجامعة شيراز sfmirghaderi@gmail.com
[٢]. الأستاذة المساعدة بجامعة پيام نور ljamshidi53@yahoo.com

١- المقدمة

إنّ الأدب العربي زاخر بالإنتاجات القيمة التي تساهم في تقديم أعظم دور تربوي في حياة الإنسان، يتناولها الدارسون من ناحية اللغة و الأسلوب و البلاغة؛ و لكن قلّما يقوم أحد منهم بدراستها من منظار تربوي أو بدراسة عمل أصحابها كمربين منتمين إلى مدرسة تربوية لها خصائصها و أغراضها و أساليبها؛ بينما أدبهم يتصف بالجوانب الأخلاقية و المناهج التربوية، و يتناول سلوك المرء في كل مجالات الحياة و يقدم القواعد المثلى للسلوك في المجتمع لجميع طبقاته من الغني و الفقير و جميع فئاته من الملوك و القضاة و الجباة و الجنود، و ... فأصحابه يهتمون بكل القضايا المتعلقة بالتربية، إما بوصف المدبر أو المتدبّر و إما بوصف المربّي أو المتربّي.

فبالنظر إلى أدب هؤلاء نجد رغبتهم في تقديم النصائح و المواعظ التي تشمل جميع قطاعات المجتمع؛ حيث يدعون إلى التحلي بالآداب و الفضائل و الأخلاق المحمودة و الاجتناب من الرذائل و الأخلاق المذمومة. فنراهم يسبرون أعماق نفس البشرية واضعين أصولاً و مناهج تربوية، مختارين لها غايات تحقق لها الخير و الصلاح في الدنيا و الآخرة.

و من هذا المنطلق و إجلالاً للدور الذي تؤديه بعض الدراسات في التركيز على الجانب التربوي في الآثار الأدبية و سبقها العلمي و الفكري إلى كثير من القضايا التربوية الأدبية كتلك التي تضمنتها بعض المصنفات كـ «الفكر التربوي عند الخطيب البغدادي» و«أصول الفكر التربوي عند أبي حامد الغزالي، و ابن رشد و ابن خلدون»، و إدراكاً للأهمية التي تتمتع بها البحوث التربوية – الأدبية في التراث الأدبي القديم، فقد لفت النظر أثناء البحث فيها، أن كثيراً من الباحثين و الكتاب المعاصرين يركزون في بحوثهم و مقالاتهم على آراء ابن المقفع كرجل من رجال الإصلاح، جدير بالدرس و البحث في آرائه التربوية. و رغم هذه الأهمية العلمية للآراء التربوية و رغم استقطاب ابن المقفع لاهتمام العديد من الدارسين و الباحثين الذين كشفوا عن جوانب هامة من فكره في مجال الدراسات اللغوية و البلاغية إلا أنّ الجانب التربوي من فكره لم يحظ بتلك العناية، و لا تزال الدراسات التي أنجزت في هذا المجال قليلة جداً بالنظر إلى كثرة ما كتبه في مجال التربية و التعليم؛ الأمر الذي يعزز من أهمية دراسة آرائه و أفكاره التربوية. لهذا الغرض تتابع المقالة رداً على هذين السؤالين:

- ما هي أهم الجوانب التربوية التي عالجها ابن المقفع في المواقف الإصلاحية متأثراً ببيئته و بما رأى في مجتمعه؟
- هل تناولت تلك الأغراض التربوية التي عالجها ابن المقفع جميع جوانب الحياة في مجتمعه؟

لقد حاولنا خلال هذه الدراسة أن نتناول بالإيجاز حياة ابن المقفع و تأثير عصره و مجتمعه في تكوين فكره التربوي، ثم نستكشف أهم الآراء و الأفكار و المبادئ التربوية عنده في المواضيع التربوية و الإصلاحية من خلال استقراء آرائه التربوية المبثوثة ضمن كتاباته و رسائله، بعد ما تطرقنا إلى مفهوم التربية و معالجتها عند هذا الأديب المصلح الكبير؛ حيث أنّه تناول العديد من مبادئ التربية التي تميزت بالمرونة و التكامل و الشمول لجميع جوانب الحياة الإنسانية في خصوصها و عمومها.

فإذا كنا ندعو اليوم و كل يوم إلى الاستفادة من تجارب الآخرين فإنّ الأولى بنا أن نتزود بالصدق و الإخلاص من تجارب سلفنا الصالح و ما تركه لنا أدباؤنا من آراء و أفكار تميزت في كثير منها بالعمق و المرونة و الشمول فضلاً عن قابليتها للتطبيق و مواءمتها لشخصية المسلم و لروح الإسلام. و بما أنّ ابن المقفع هو أديب

عبقري قد تميز بالفكر الأصيل و العمل المخلص و التخطيط السليم بقيمة فكره التربوي و الالتزام به و الدعوة إليه، فلعل هذه المقالة قد تشجع الباحثين إلى الكشف عن جوانب مشرقة في التراث التربوي للأدباء المسلمين.

١- حياة ابن المقفع و تأثير عصره و مجتمعه في تكوين فكره التربوي

هو أبو محمد عبدالله روزبه بن داذويه المشهور بابن المقفع، ولد على وجه التقريب عام (١٠٦هـ - ٧٢٤م) في جور (فيروزآباد) بإحدى المحافظات الإيرانية، فارسي الأصل عربي اللغة و البيئة. عرف بابن المقفع لأنّ والده كان يعمل والياً على خراج فارس من قبل الحجاج فأراد أن يضم إلى ماله شيئاً من مال السلطان فضرب الحجاج على يده حتى تقفعت- أي تشنجت – فعرف منذ ذلك بابن المقفع (ابن النديم، د.ت، ١٢٧).

عكف ابن المقفع على الثقافة و المعرفة في إقليم فارس و أخذ يتعلم الفارسية و يتعرّف على الحضارة الإيرانية القديمة، ثم ذهب إلى البصرة، فتلقى فيها مبادئ الفصاحة و فنون البلاغة و أخذ اللغة و الشعر عن الأعراب الذين كانوا يفدون إليها، و لم تمض سنوات على شأنه فاستخدمه الولاة و عمل في الدولتين الأموية و العباسية، حيث كان من المخضرمين (المسعودي، ١٩٣١، ٢٤٢/٤) . و يقال إنّ ابن المقفع من أشهر الشخصيات الثقافيّة في تاريخ الإسلام بل من أشهر الشخصيات فى ثقافة العالم. و قد رسمت شخصيّته الاجتماعية و الأخلاقيّة طريقته الثقافيّة و الأدبيّة. (آذرنوش، ١٣٨٥: ٦٦٦)

لقد عاش في عهد يعتبره المؤرخون مرحلة تحوّل في المجتمع الإسلامي بمستوياته المختلفة من الإدارية و السياسية و الاقتصادية و الحضارية و الثقافية، و ذلك لأنّ الدولة الإسلامية في عهد مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين أصيبت بالضعف و التفرقة و كان العباسيون يحاولون الاستيلاء على الحكم و السلطة بمساعدة الفرس الذين كانوا يحاربون إلى جانب بني العباس لأسباب متعددة، منها: نقمة الفرس على بني أمية بسبب عصبيتهم و احتقارهم للموالي و شعورهم بشيء من الذل القومي، و حنينهم إلى أمجادهم السالفة، و تشيعهم لآل البيت (ع)، و اعتبار الأمويين مغتصبين للخلافة و سعيهم إلى التساوي مع العرب(راجع: ضيف، ١٩٩٦، ٩- ١٥).

فمن الطبيعي أن يترتب على هذه المنافسة ما ذكره المؤرخون من القتل و سفك الدماء و ينتج عنها تغير و تحول في مختلف المجالات. فكان المجتمع العباسي في هذا العصر مسرحاً للصراعات العنصرية، حيث كانت عرقية حيناً بين العرب و الموالي، و اجتماعية اقتصادية حيناً آخر بظهور طبقة الولاة و أعوانهم كطبقة متميزة استولت مظاهر الترف و الرخاء على حياتها و استقبلت مجالس الأنس و الطرب المليئة بالغلمان و الجواري. فلعل إقدام الولاة و الحكام على الأمور التي لم يعهدها المجتمع الإسلامي سابقاً، أدى إلى انحسار روعة الدين و أثره العميق في النفوس؛ فضاعت معانيه السامية و بقيت معالمه الظاهرية.

و هذا الجو أدّى إلى ظهور الطوائف المتعددة في إطار الدين الواحد و هو الإسلام، و إلى ظهور اتجاهات فردية و اجتماعية كالنسك و الزهد و التصوف؛كما أدّى إلى اتساع جوانب التجربة العقلية عن طريق الترجمة و الاختلاط بأجناس بشرية مختلفة و ثقافات متنوعة كالهندية واليونانية و الفارسية و إلى تطور المعارف الدينية و اللغوية و الأدبية، و اتساع حركة التأليف، و ظهور المعارف الفلسفية (راجع: المصدر نفسه ٨٩- ١١٧).

أمّا البيئات الشعبية فتميّزت بالفقر و الحرمان و ذلك بسبب الظلم و عدم التكافؤ الاجتماعي الذي نتجت عنه نقمة على الأوضاع وعلى الذين ارتفعوا في المجتمع دون جدارة و استحقاق. فحاول بعض الأدباء و الشعراء أن يعبّروا عن أحاسيسهم الخاصة التي تمسخ هؤلاء و تشوّههم و تحطّ من شأنهم.

على كل حال فقد نشأ ابن المقفع في هذا العصر الذي تميز بكثرة القلاقل السياسية و الاضطرابات الاجتماعية و الاقتصادية و ترعرع في هذا المجتمع الذي تعددت فيه المشارب و اللغات و الثقافات و تفتّحت فيه الأفكار و تنوّعت الميول.

فليس غريباً أن يكون ابن المقفع مفكراً ذا ذهن متفتّح و عقل مستنير وأن يكون أديباً شغل أسلوبه الباحثين و أن يكون مصلحاً أثرت تلك الأوضاع في فكره التربوي، و سعى لإقامة مجتمع صالح عن طريق تجديد العلاقة بين الحكام و الرعية في ظلّ نظام عادل؛ إذ إنّه جمع بين الثقافات الهندية و اليونانية و الفارسية و العربية مع اتصافه بالتّعقل و بعد النظر، و تمسك بحكمة القدماء التي اقتبسها من آثارهم و تناول منها ما يحتاج إليه، و استفاد منها في إصلاح الفساد و تقويم الاعوجاج الذي شاهده في مجتمعه، فصاغه بلغة بليغة و في أسلوب أنيق تجلّت فيه مقدرته الأدبية و الفكرية و التربوية ليتأدّب به كل إنسان في كل زمان و كل مكان.

٢- مفهوم التربية و معالجتها عند ابن المقفع

للتربية تعاريف متعددة نظراً لتعدد وجهات النظر و الأهداف الساميّة. منها ما يقوله الإمام البيضاوي: «أصل الرب بمعنى التربية، و هي تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً» (عميرة، ١٤٠١، ٦)، و يقال أيضاً: إنّها عملية النمو «التي يمر خلالها الإنسان من طفولته إلى نضجه، تدريجياً ليتكيف مع بيئته العضوية و الاجتماعية» (عبد الغني، ١٩٨٠، ٢٥)، و يقول الآخرون : «إنّ التربية عملية التناول الواعي للإنسان و للجماعة لتنشئتها على الإسلام عقيدة، و عبادة و سلوكاً، و روحاً تنشئة علمية، و عملية فكرية، و سلوكية، تنشئة تتمثل في كل معطيات الإسلام و متغيرات العصر و متطلباته و اجتهاداته» (محمد جمال، ١٩٨٠، ١٤) و هي عند الخطيب البغدادي «تعني التعليم الذي غالبا إلى تنمية شخصية المتعلم و نضجها و بلوغ كمالها» (أحمد معلوم، ١٩٩٣، ١٣٩).

فالتربية كما نفهمها اليوم عملية معقدة يتفاعل فيها الإنسان بميوله و اتجاهاته و قدراته و استعداداته مع بيئته و مجتمعه و التراث بواقعه و تطلعاته و فلسفاته و حاجاته و مشكلاته، و هذا المفهوم الشامل للتربية هو الذي عالجه ابن المقفع في مؤلفاته التي تهدف إلى إصلاح الإنسان بمختلف جوانبه الفكرية و الروحية و الخلقية و العقلية، وتعتبر أنموذجاً للأدب التربوي و التعليمي الذي يعالج مواضيع إنسانية و فردية و اجتماعية، و يزاول العلائق الإنسانية الدنيوية و الأخروية، و تزخر بالنصائح و الإرشادات و الحكم و المواعظ الموجّهه لإصلاح الفرد و المجتمع. فلذلك يعتبر الدارسون مؤلفها من الذين اهتموا بالإنسان كمحور أساسي تدور عليه التربية و التعليم، ومن المصلحين و الاجتماعيين الذين حاولوا لإقامة نظام اجتماعي و سياسي على أسس صحيحة، و من أجل أهداف سامية.

فابن المقفع لم يكتف بمعرفته للكون و الإنسان و المجتمع مجرد معرفة عامة، بل أراد أن تتحول هذه المعرفة إلى حركة فكرية و قوة دافعة لتحقيق مدلولها في العالم الواقع، فلأجل تحقق هذه الغاية استفاد من أسلوبه الأدبي و عقلانيته و مقدرته اللغوية، ليهدى المجتمع و أبناءه إلى حياة

مثاليّة.

٣- المواقف التربوية و الإصلاحية

لا شك أنّ ابن المقفع كان متأثراً بما جرى في مجتمعه، فاستوحى مواضيعه التربوية من القضايا السائدة في هذا المجتمع و بناءً على حاجة أبناء مجتمعه إلى الإصلاح، تناول كل القطاعات بتدبيره و تربيته و إرشاده، و لا فرق أن يكون الحاكم أو الرعية، الكبير أو الصغير. فنراه مرة يخاطب الحكام و ذوي القدرة مع اعتقاده بأنها لا تصلح أمور الشعب إذا لم تقم على إصلاحها الحكومة و لا تصلح الرعية إلا بصلاح الراعي و إن حاجة الناس إلى تقويم آدابهم و عاداتهم أشد من حاجتهم إلى طعامهم و شرابهم و أنّهم لا يصلحون بأنفسهم حتى يكون عليهم من الخاصة رقباء و مؤدبون و علاوة على ذلك يوجه الخطاب للشعب نفسه داعيا أفراده إلى توثيق عرى العلاقة بين بعضهم و بعض، فلذلك يقول: «احفظ قول الحكيم الذي قال: لتكن غايتک فيما بينک و بين عدوك العدل، و فيما بينك و بين صديقك الرضاء فإن العدو خصم تضربه بالحجة و تغلبه بالحكام. و الصديق ليس بينك و بينه قاض، فإنّما حكمه رضاه» (ابن المقفع، ١٩٨٩، ٢٦٥). و هناك أمور أخرى يخاطب ابن المقفع أبناء المجتمع للتحلي بها أو اجتنابها، كما أنّه لم ينس حتى الطفل، حيث قد تناوله برسائله التربوية في كتابه "الأدب الوجيز للولد الصغير".

فبالنظر إلى آثاره نجد أنّه قد اهتم في نهجه التربوي الجانبين الأساسيين في المجتمع هما:

١- مجال الحكام و ذوي القدرة ٢- مجال العامة، سنحاول أن نتناولهما بذكر قطاعاتهما المختلفة.

٣-١- مجال الحكام و ذوي القدرة في المجتمع

هذه الفئة لها أهمية كبيرة لتدبير أمور الأمة و إصلاح شأنها، فلعل هذا الأمر هو الذي قد حمل ابن المقفع أن يقوم بمخاطبة رجال الحكومة، بتسمياتهم المختلفة كالعاقل، ذي العقل، المرء، الرجل، الملك، السلطان، الوالي، صاحب السلطان و غيرها. و وضع إصبعه على أكثر أمراضها في عصره، و ذكر أنّ هذه الأمراض قد تصيب القطاعات المختلفة فيها، من الحكام و رجال البلاط و القضاة و الجنود و الجباة، ثم وصف الدواء الذي يشفيها من هذه الأمراض. فعالج إصلاحها بالعبارات التي تعتبر تلخيصاً لأهم الجوانب التربوية في ذلک القطاع. لعل من أهمها ما تسير في ضوئه العملية التربوية و التعليمية في إصلاح الحاكم أولا ثم بطانة الحاكم و وزرائه، و المقربين من الحاكم و جلسائه، و الجنود، و القضاة و الجباة.

٣-١-١- إصلاح الحاكم نفسه

يوصيه بأن يتحلى بخلق و طباع يتناسب مع دوره القيادي؛ لأنّه لا يصلح الرعية إلا بصلاح الحاكم و قال عنه:

«أحق الناس بإجبار نفسه على العدل في النظر و القول و الفعل هو الوالي الذي يعدل من دونه، و الذي ما قال أو فعل كان أمراً نافذاً غير مردود». (المصدر نفسه: ٢٥٢)

و قال في موضع آخر:

«ليس للملک أن يغضب لأن القدرة من وراء حاجته. و ليس له أن يكذب لأنه لا يقدر أحد على استكراهه على غير ما يريد. و ليس له أن يبخل لأنه أقل الناس عذرا في تخوف الفقر. و ليس له أن يكون حقودا لأن خطره قد عظم عن مجازاة كل الناس. و ليتق أن يكون حلافاً فأحق الناس باتقاء الإيمان الملوک» (المصدر نفسه: ٢٥١).

فإذا تأملنا في هذه العبارات نرى أن ابن المقفع في بعضها لا يعتمد على العبارات الصريحة، بل يكتفي بالإشارة الخفية اعتمادا منه على ذكاء الخليفة، كما فعل ذلک في ما اهتم بتقديمه من المواعظ و الحكم و الإرشادات من خلال الإطار القصصي في كتاب كليلة و دمنة، و نراه في بعضها الآخر لا يرى بدا من الصراحة، مثلما نجده في رسالة الصحابة بعد أن دعا الخليفة إلى العطف على أهل الشام، فيقول:

«و قد علمنا التاريخ أن الملک إذا خرج من قوم بقيت فيهم بقية يتوثبون بها ثم كان ذلک التوثب هو سبب استئصالهم و تدويخهم» (المصدر نفسه: ٣١٩).

٣-١-٢- بطانة الحاكم و وزراؤه: يعتبر ابن المقفع بطانة الحاكم بهاؤه و زينته، و خاصة من عامته، و ألسنة لرعيته لا تصلح الرعية إلا بهم، و لا تستقيم الأمور إلا على أيديهم و لن تكون البطانة على هذا الوجه حتى يتوفر فيهم شرطان هما: الحسب أولا و العقل مع ذلک. و الرأي عنده أيضا أن يكون لكل واحد من هؤلاء البطانة عمل لا يتعداه إلى سواه. فعمل الكاتب غير عمل الحاجب، و عمل الحاجب غير عمل الوزير و هكذا دواليک.

أما الوزراء فيوصي ابن المقفع الحاكم أن يهتم بهم و يجعل لهم شأنا و منزلة عنده، بقوله: «الملک الحازم يزداد برأي الوزراء الحزمة، كما يزداد البحر بمواده من الأنهار» (المصدر نفسه: ٣٠٣)

٣-١-٣- المقربون من الحاكم و جلساؤه

عالج ابن المقفع هذه الفئة لأنّها إذا لم تكن حسناً في الخلق و السجايا ستسيء إلى السلطان و إلى الأمّة، لما لها من نفوذ و أثر في الحاكم و إصلاحه من مودّة و مشورة ولا شك أن صلاح الحاكم في صلاحهم و في صلاح الحاكم صلاح الأمة بكاملها. فلذلك قال:

إنّهم «فناؤه و زينة مجلسه و ألسنة رعيته، و الأعوان على رأيه و مواضع كرامته و الخاصة من عامته» (المصدر نفسه: ٣١٩).

فكما نرى أنّ ابن المقفع كان على دراية واسعة بأمور الحكم و مواضع إصلاحه و إعادة النظر فيها و أدرك مواطن الخلل و مصادره في الدولة و المجتمع.

٣-١-٤- الجند: عالج ابن المقفع ما يترتب على حسن تدبير هذه الفئة أو عدمه و نتائجه التي تنعكس على المجتمع، فقد خص الجند في رسالة الصحابة بجزء عظيم من تفكيره و عنايته، وعاب عليهم أمورا كثيرة منها: الجهل و سوء الخلق، و شدة الغيرة و اضطغان بعضهم على بعض، و الميل إلى الترف بسبب كثرة المال، و كثرة الزهو الذي يخشى على الدولة نفسها منه. فاقترح على الحاكم أن يبذل جهده في إصلاح الجند باتباع أمور:

أولها و أهمها: «أن لا يولي أحدا منهم شيئا من الخراج؛ لأن ولاية الخراج مفسدة للمقاتلة. و لم يزل الناس يتحامون ذلک منهم و ينحونه عنهم لأنهم أهل دالة و دعوى بلاء. و إذا جلبوا الدراهم و الدنانير اجتروا عليهما، و إذا وقعوا في الخيانة صار كل أمرهم مدخولا نصيحتهم و طاعتهم فإن حيل بينهم و بين وضعه أخرجتهم الحمية مع أن ولاية الخراج داعية إلى ذلة و عقوبة و هوان. و إنما منزلة المقاتل منزلة الكرامة و اللطف» (ابن المقفع، ١٩٨٩، ٣١٣-٣١٤).

الثاني: أن ينظر الحاكم في أمر الجند، فمن كان غير صالح للعمل الذي يشغله، يعزله و من يتولى الأمور بجدارة فليلتمس له مكانا يليق به. ففي ذلک إصلاح لمن هم فوقه، و تشجيع لمن هم دونه.

الثالث: أن يتعهد الحاكم جنده بالتعليم و التهذيب، و

أن يأخذ بالقصد و التواضع و أن يعودهم العفة و الأمانة، كما يقول: «و من ذلک تعهد أدبهم في تعلم الكتاب و التفقه في السنة و الأمانة و العصمة و المباينة لأهل الهوى و أن يظهر فيهم من القصد و التواضع و اجتناب زي المترفين و شكلهم مثل الذي يأخذ به أمير المؤمنين في أمر نفسه» (ابن المقفع، ١٩٨٩، ٣١٤)

فكما نرى إن ابن المقفع يعتقد بأن الدولة مكونة من أجزاء، لكل واحد منها دور يضطلع به في صلاح الدولة، كما أن أساس تحسين الأمور فيها هو تحقيق الإصلاح بين أفراد هذه الأجزاء.

٣-١-٥- القضاة

إذا تأمّلنا في آثار ابن المقفع نرى أنّ ما أدركه ابن المقفع في مجتمعه هو أنّ القضاة كانوا يتبعون هواهم و لا يكلفون أنفسهم البحث و التنقيب من جانب و يختلف مصادر الأحكام من جانب آخر و هذا مما أدّى إلى إصدار أحكام مختلفة في القضية الواحدة حتى قال:

إنّ «اختلاف هذه الأحكام المتناقضة التي بلغ اختلافها أمراً عظيماً في الدماء و الفرج و الأموال فيستحلّ الدم و الفرج في الحيرة، و هما يحرمان في الكوفة، و يكون مثل ذلك الاختلاف في جوف الكوفة، فيستحلّ في ناحية منها، ما يحرم في ناحية أخرى» (المصدر نفسه: ٣١٦).

فموقع هذه الفئة عند إبن المقفع موقع خاص ، و كان أمرهم في نظره عجيبا، فقد عجب في رسالة الصحابة من فوضى الأحكام و تناقض الآراء و ذلک حتى في قضية واحدة و بلدة واحدة. و ذلک يرجع إلى حكم القاضي، إذ إن القضاة فريقان: فريق يأخذ بالسنة أو القياس و فريق يعمل بالرأي أو العقل. فهؤلاء و اولئک برأيه مخطئون لأنهم يطبقون على الزمن الحاضر حكما قد لا يصلح إلا للزمن الماضي محتجين في ذلک بألسنة لافظة و لأنهم يقعون في خطأ التعميم. و أما خطأ العقليين فلأنهم يظلون كذلک مختلفين يعمل كل منهم برأيه و يبلغ به الأمر «أن يقول الأمر في الجسيم من أمر المسلمين قولا لا يوافقه عليه أحد، ثم لا يستوحش لانفراده بذلک، و امضائه الحكم عليه، و هو مقر أنه رأي منه لا يحتج بكتاب و لا سنة» (المصدر نفسه: ٣١٧).

و الرأي عند ابن المقفع هو أن يجعل الحاكم من نفسه مرجعا أعلى في هذه القضايا التي تمس بالقضاء. فإذا اختلف القضاة في شيء ردوه إلى الحاكم و استعان في ذلک بالفقهاء.

٣-١-٦- الجباة

و هم عمال الخراج الذين انتقد ابن المقفع سلوكهم بشدة و صور للحاكم ظلمهم و سوء سيرهم و محاولة رجاله إخفاء الأمر عنه. فكان جديرا بالدولة أن تراقبهم و تضرب على أيديهم و تريح الناس بهم.

و أشار ابن المقفع إلى الخليفة برأي كان يعلم أن تنفيذه عسير،لا يتيسر للدولة إلا بعد أن يستقر لها الأمر و يفرغ رجالها للإصلاح الداخلي الذي يعود على الشعب و الحكومة معا بالخير و الرخاء. فنصح بأن تمسح الأرض و تكتب أسماء الملاك في سجلات و يكتب أمام كل مالك ذاك المبلغ الذي يؤديه للدولة على الجزء الذي يملكه. كما يقول: « فلو أن أمير المؤمنين أعمل رأيه في التوظيف على الرساتيق و القرى و الأرضين وظائف معلومة، و تدوين الدواوين بذلك، و إثبات الأصول، حتى لا يؤخذ رجل إلا بوظيفة قد عرفها و ضمنها، و لا يجتهد في عمارة إلا كان فضلها و نفعها لرجونا أن يكون في صلاح للرعية و عمارة للأرضين و حسم لأبواب الخيانة و غش الأموال. و

هذا أمر مؤونته شديدة و رجاله قليل و نفعه متأخر» (المصدر نفسه: ٣٢١-٣٢٢).

فكما يلاحظ أن ابن المقفع كان على دراية واسعة بأمور الحكم و مواضع إصلاحه و إعادة النظر فيه و أدرك مواضع الخلل و مصادره في المجتمع.

٣-٢- مجال العامة

من المعلوم أن مجال العامة ليس شيئا منفصلاً عن المجال الفردي للأشخاص و قضيتها ليست منعزلة عن قضية كل فرد، بحيث وجود أحدهما يقتضي وجود الآخر، و هناك علاقة التأثير و التأثر القائمة بين الفرد و الجماعة. فلذلك نجد إصلاح كل فرد يتضمن إصلاح العامة. و لهذا رأى ابن المقفع بأنّ العامة لا تصلح إلا بصلاح كل فرد في الأمة؛ فيجب على كل امريء أن يصلح نفسه أولاً و هذا الأمر ليس سهلاً لما فيه من منازعة للهوى و مخالفة له و تعويد النفس على ما تكرهها، حتى يجعل من نفسه قاضياً و مربياً لها و هذا ما نسمّيه بالتربية الذاتية التي نقصد بها ذلك الجهد الذي يبذله الفرد من خلال أعماله الفردية، أو من خلال تفاعله مع العامة والجماعة لتربية نفسه؛ فقال عنه:

«على العاقل مخاصمة نفسه و محاسبتها، و القضاء، و الإثابة لها و التنكيل بها» (المصدر نفسه: ٢٨٦).

حيث إن الإنسان أعلم بمداخل نفسه، وأعلم بجوانب الضعف و القصور فيها، فلذلك فهو الأقدر على التعامل مع نفسه و أقدر من غيره على علاج جوانب الضعف و القصور فيها. فإذا تأمّلنا في آثاره نرى أنّه لم يهمل شيئاً يرتبط بالإنسان و علاقاته كما ذكر علاقته مع جسده الذي يكون أقرب الأشياء إلى نفسه و يوصيه بحسن تدبيره و معرفة ما يضره و ما ينفعه، فيقول: «و أصل الأمر في إصلاح الجسد ألا تحمل عليه من المآكل و المشارب و الباه إلا خفافا، و إن قدرت على أن تعلم جميع منافع الجسد و مضاره و الانتفاع بذلک فهو أفضل» (المصدر نفسه: ٢٤٦).

أما الفرد فإن المناسبات الجماعية تتحقق له قدراً كبيراً من الفرص التربوية، كالتدبر في تصرفات الآخرين و تطبيق أعماله معها، حيث ينبغي على كل فرد أن يجعل الآخرين مقياساً و معياراً لنفسه و يلحظ سيئاتهم و حسناتهم ليعتبر منها، فيقول ابن المقفع في هذا الشأن: «على العاقل أن يتفقد محاسن الناس و يحفظها و يحصيها و يصنع في توظيفها على نفسه و تعهدها» (المصدر نفسه: ٢٨٧).

و من جانب آخر نرى أنّه قد أدرك أهمية العلاقات الاجتماعية و قد تناولها بين كلّ الجماعات و قارن بينها ليتحقق عملية البناء و التربية و التعلم، و تناول علاقة المرء مع الأصحاب و الإخوان و أرادها نقية طاهرة قوية لتخدم غرض الصداقة، و يقول عنها: «المودّة بين الأخيار سريع اتصالها، بطيء انقطاعها مثلها مثل كوب مذهب، الذي هو بطيء الانكسار هين الإصلاح، و المودّة بين الأشرار سريع انقطاعها، بطيء اتصالها، كالكوز من الفخار يكسره أدنى عبث، ثم لا وصل له أبداً» (المصدر نفسه: ٣٠٣-٣٠٤).

كما يذكر أن الانعزال عن الناس يكسب عداوتهم و الانتشار بينهم و التساهل مع الجميع يكسب أصدقاء سوء؛ فيقول: «و أعلم أن انقباضك عن الناس يكسبك العداوة و أن انبساطك إليهم يكسبک صديق السوء و سوء الأصدقاء أضر من بغض الأعداء. فإنک إن واصلت صديق السوء، أعيتک جرائره و إن قطعته شانک اسم القطيعة و ألزمک ذلک من يرفع عيبک و لا ينشر عذرک فإن المعايب تنمي و المعاذير لا تنمي» (المصدر نفسه: ٢٦٦).

ثم يذكر حقوق الصداقة و يدعو إلى التمسک بحقوق

الصديق من المواصلة و عدم الهجر بقوله: «اجعل غاية تشبثك في مؤاخاة من تؤاخي و مواصلة من تواصل توطين نفسك على أنه لا سبيل لك إلى قطيعة أخيك و إن ظهر لك منه ما تكره، فإنه ليس كالمرأة التي تطلقها إذا شئت، ولكنه عرضك و مروءتك، فإنما مروءة الرجل إخوانه و أخدانه، فإن عثر الناس على أنك قطعت رجلا من إخوانك و إن كنت معذرا نزل ذلك عند أكثرهم بمنزلة الخيانة للإخاء و الملال فيه، و إن أنت معذلك تصبرت على مقاربته على غير الرضا عاد ذلك إلى العيب و النقيصة فالاتئاد الاتئاد و التثبت التثبت» (المصدر نفسه: ٢٦٥-٢٦٦).

كذلك فقد تطرّق إلى التعامل مع الأعداء بأنّه يحتاج إلى التدبير للاجتناب من شرّهم و لتقليل عددهم، و إذا دققنا في آثاره نرى أنّه نهج هذا التدبير في كتاب «كليلة و دمنة» باب الجرذ و السنور، فيقول: «العاقل جاعل القتال آخر الحيل و بادئ بما سوى ذلك» (المصدر نفسه ١٨٩).

كما أنّه قد ذكر التدبّر مع السلطان و أشار إلى حقّ طاعته على الرعية، ثمّ قد بيّن لنا ما يتطلب التعامل مع الفئة الحاكمة من مخاطر و أذى فقال:

«فإن وجدت عنهم و عن صحبتهم غنىً، فأغن عن ذلك نفسك و اعتزله جهدك، فإنّ من يأخذ عملهم بحقه يحلّ بينه و بين لذّة الدنيا و عمل الآخرة و من لا يأخذ بحقه، يحتمل الفضيحة في الدنيا و الوزر في الآخرة» (ابن المقفع، ١٩٨٩، ٢٩٦).

و مجمل القول: إن الأمور التي تطرق إليها ابن المقفع خير نموذج لكي ترشد المجتمع الإنساني إلى حياة فضلى و تضمن له سعادة الدارين.

٤- الوسائل التربوية عند ابن المقفع

من الأمور الهامة في مجال التربية مناسبة الوسائل التربوية للأغراض و الأهداف التي يرنوإليها المربّون. و المقصود بالوسائل في هذا المجال، تلك الطرق التي تلعب دوراً في خدمة الأهداف الموضوعة (راجع: عبدالموجود و الآخرون، ١٩٧٩م، و أيضاً: الدمرداش، ١٩٧٩م)، أو بعبارة أخرى كل ما يستعان به من أجل تحقيق الأهداف الواضحة و المحدودة. فبناءً على ذلك أن ابن المقفع كمربٍ و مصلح استخدم الوسائل المعيّنة من أجل تحقيق غاياته المثلى للفرد و المجتمع، فلذلك قال:

« لكل مخلوق حاجة، و لكل حاجة غاية، ولكل غاية سبيلاً و أنّ الله وقّت للأمور أقدارها، و هيّأ للغايات سبلها و سبّب الحاجات ببلاغها. فغاية الناس و حاجاتهم صلاح المعاش و المعاد» (ابن المقفع، ١٩٨٩، ٢٨٣).

أما الوسائل التي اختارها ابن المقفع لتحقيق أهدافه التربوية و عرض بواسطتها أدبه التربوي هي: العقل و العلم و الدين.

٤-١- العقل

إنّ الله خصّ الإنسان بالعقل ليهتدي به، و هو وسيلة تكريمه و تكليفه و تشريفه. فالعقل هو ملكة التفكير و التدبير الذي ميز الله بها الإنسان دون غيره من سائر الكائنات بفضل ما أودع الله فيه « من قدرة على الاختيار و الإرادة و الإدراک و الفهم و التمييز » (الزنتاني،١٩٨٤، ٥١١). فمن هذا المنطلق كان اهتمام ابن المقفع بالعقل كأحد المقومات الشخصية الإنسانية المتكاملة و كأداة للمعرفة تساعد الإنسان على إدراک الحقائق و فهم العلاقات المتشابكة بين الإنسان و تلک الحقائق بفضل إدراک الإنسان للمعرفة التي تبدأ بالإحساس و تكتمل «بالإدراک العقلي للمعاني»

(عبدالعال، ١٩٧٨، ١٣٠). فبالنظر إلى كتبه نجد أنّه دائماً يخاطب العقل و العاقل و ذا اللبّ. كما قال:

«فإنّ لكلّ إمريء لم تدخل عليه آفة نصيباً من اللبّ، يعيش به لا يحبّ أنّ له به في الدنيا ثمناً، و ليس كل ذي نصيب من اللبّ يستوجب أن يسمّى في ذوي الألباب، ولا أن يوصف بصفاتهم» (ابن المقفع، ١٩٨٩، ٢٨٥).

فلذلک لجأ إلى العقل كوسيلة لتحقق غاياته التربوية و أهدافه الإصلاحية، لأنّ العقل في رأيه يكون حارساً، و به يتحقق حسن التدبير و به « يحرز الحظ، و يؤنس الغربة، و ينفى الفاقة، ويعرف النكرة، و يثمر المكسبة، ويطيّب الثمرة، و يوجّه السوقة... و يكسب الصديق، و يكفي العدوّ» (المصدر نفسه ٢٩١).

٤-٢- العلم و التعلم: لا شک أن التعلم يعتبرأحد المجالات الهامة في المناهج التربوية، حيث إن أغلب أنواع السلوک الإنساني مكتسبة، بل لا ينمو العقل إلا بالعلم و التعلم؛ إذ إنّ «العلم زين لصاحبه في الرخاء و منجاة له في الشدة» (المصدر نفسه: ٢٩٤) فلذلک يجب على الإنسان أن يكد في طلب العلم، كما قال: « و لسنا بالكد في طلب المتاع الذي يلتمس به دفع الضر و العيلة بأحق منا بالكد في طلب العلم الذي يلتمس به صلاح الدين و الدنيا» (المصدر نفسه ٣٢٠)،

فبناء على هذه الأهمية للعلم، فكان من الطبيعي أن اهتم ابن المقفع بالعلم و العلماء اهتماما بالغا، إذ نرى اهتمامه هذا خلال جميع آثاره، يمكن تلخيصه في نقاط ثلاث:

- **أنواع العلوم**
- **المعلم و صفاته**
- **المتعلم و صفاته**

٤-٢-١- أنواع العلوم: يرى ابن المقفع أن العلم علمان، علم لتزكية العقول الذي تنمو به العقول و تتفاوت و هو على قمة كل تدبير، و علم المنافع التي يمكن أن تكون للدنيا أو للآخرة (المصدر نفسه: ٢٦٨). أمّا علم الدنيا هو علم الصناعات، و علم الآخرة هو العلم الذي يحتاج الإنسان إليه ليدبّر أمر الآخرة. فقال عنه: « لا عقل لمن أغفله عن آخرته ما يجده من لذة دنياه. و ليس من العقل أن يحرمه حظّه من الدنيا بصره بزوالها» (المصدر نفسه: ٣٠٠).

فلذلك يوصينا ابن المقفع بالتعلم و يعتقد بأن العلم لا يحصل الا بالتعلم و حذرنا عن تركه، كما قال: « بأنّ حياة الشيطان ترك العلم و روحه و جسده الجهل» (المصدر نفسه ٢٩٦).

فلا شک أن أغلب أقوالنا، و أفعالنا، و حتى طرق تفكيرنا و اتجاهاتنا نحو الآخرين و المهارات التي نكتسبها تمثل التعلم، و هو وسيلة المجتمعات الإنسانية إلى غرس القيم الأخلاقية الحميدة و تربية النشئ على العادات و التقاليد الاجتماعية، و تطبيعه بثقافة المجتمع و قيمه. و من هنا تأتي أهمية موضوع التعلم و تأثيره في حياتنا العامة و الخاصة و من هذا المنطلق تأتي أهمية دراسة المعلم و شروطه، و المتعلم و شروطه عند ابن المقفع.

٤-٢-٢- المعلم و صفاته: يتمتع المعلم في المدارس التربوية بمنزلة رفيعة و مكانة سامية نظرا لأهميته البالغة في تربية الإنسان؛ غير أن ابن المقفع يعتقد بأن الجهات التي يستطيع الإنسان أن يتأدب عليها متعددة، منها:

٤-٢-٢-١- أهل الولد و أقرباؤه: و هم على رأس المعلمين إذ إنهم يعتبرون اللبنة الأساسية في بناء شخصية الإنسان؛ فلذلک اهتم ابن المقفع بعلاقاتهم مع

الشخص و أشار في كتابه "الأدب الوجيز للولد الصغير" إلى واجبهم و حق الولد عليهم.

٤-٢-٢-٢- العقلاء و الأخيار و ذووالفضل في الدين و العلم و الأخلاق: و لا شك أنّ هذه الطبقة من أهم المواقف التربوية عند المربّين و المصلحين، و ذلک لأثرهم في نفوس المتربين. أما ابن المقفع فاهتم بهذا الجانب بتقديم قواعد لتنظيم العلاقات الفكرية و الروحية و الاجتماعية بينهم و بين المتعلم، فقال في كتابه الأدب الصغير: على العاقل أن لا «يصاحب و لا يجاور من الناس ما استطاع إلا ذا فضل في الدين و العلم و الأخلاق، فيأخذ عنه أو موافقا له على إصلاح ذلک فيؤيد ما عنده، و إن لم يكن عليه فضل فإن الخصال الصالحة من البر لا تحيا و لا تنمي إلا بالموافقين و المهذبين و المؤيدين و ليس لذي الفضل قريب و لا حميم هو أقرب إليه و أحب ممن وافقه على صالح الخصال فزاده و ثبته، و لذلک زعم بعض الأولين أن صحبة بليد نشأ مع العلماء أحب إليهم من صحبة لبيب نشأ مع الجهال» (المصدر نفسه: ٢٨٧).

و يقول في موضع آخر: «لا ينبغي للمرء أن يعتد بعلمه و رأيه ما لم يذاكره ذوو الألباب و لم يجامعوه عليه فإنه لا يستكمل علم الأشياء بالعقل الفرد» (المصدر نفسه: ٢٩٦)

و يؤكد على فضل أهل الدين و ضرورة الاختلاط بهم، حيث يقول:

«اعرف الفضل في أهل الدينِ والمروءةَ في كل كورةٍ وقريةٍ وقبيلةٍ. فيكونوا هم إخوانكَ وأعوانك وأخدانكَ وأصفياءك وبطانتك وثقاتكَ وخلطاءكَ» (المصدر نفسه: ٢٤٨)

٤-٢-٢-٣- الدهر و التجارب: و هي في رأيه خير مؤدّب و معلم فيطلب من المرء أن يأخذ من حياته و تجاربه الخاصة درساً و معلماً. فيقول: «الرأي تبع للتجربة» (المصدر نفسه: ٢٩٩).

أما المعلم فلا شک أن له أهمية بالغة في تربية الإنسان، لذا ينبغي أن يتصف بصفات خاصة تجعله قدوة صالحة و مثالا يحتذى في التربية و التعليم. فهذه الصفات و إن لم يخصّ بها ابن المقفع فصلاً في كتبه، غير أننا نستطيع أن نلمس من خلال إرشاداته، أنه يفرض على المعلم عدة اعتبارات، في مقدمتها إخلاص النية لله تعالى، و التقوى و عدم الغرور و التواضع و الاعتزاز بالنفس و كثرة العلم و الفكر الرصين و البعد عن الشبهات و الاشتغال بالعلم و طرق الاجتهاد و الاختلاف بين المذاهب و النحل و كمال الهيئة و الوقار و جمال المظهر إلى غير ذلک من الصفات التي لا يمكن الإشارة إلى أقواله في كلها. فنذكر البعض على سبيل الاستشهاد كقوله في عدم العجب و اللجاجة، حيث يقول: «العجب آفة العقل و اللجاجة قعود الهوى» (المصدر نفسه: ٢٩٤). و يقول في موضع آخر، مما يدل على علم العالم هو «تزيينه نفسه بالمكارم و ظهور علمه للناس من غير أن يظهر منه فخر و لا عجب» (المصدر نفسه: ٢٩٦)؛ كما يذكر في تلافيف آثاره أبواب التوفيق في التعليم. فيقول مثلا في الأدب الصغير:

«من أبواب الترفق و التوفيق في التعليم أن يكون وجه الرجل الذي يتوجه فيه العلم و الأدب فيما يوافق طاعة و يكون له عنده محمل و قبول، فلا يذهب عناؤه في غير غناء و لا تفني أيامه في غير درک و لا يستفرغ نصيبه فيما لا ينجع فيه، و لا يكون كرجل أراد أن يعمر أرضا قمة فغرسها جوزا و لوزا... و أرضاً جلساً فغرسها نخلا و موزاً» (المصدر نفسه ٢٩٤).

فإذا ما اتصف المعلم بهذه الصفات كانت العلاقة بينه و بين المتعلم مبنية على المودة و التقدير و الاحترام المتبادل و قائمة على العطف و الثقة. و إذا ما تحققت هذه الصلة بين

المعلم و طلبته، فإن مهمة كل من المعلم و المتعلم سوف تكون سهلة، ميسرة و محببة إلى النفس بإذن الله تعالى.

٤-٢-٣- المتعلم و شروطه: إنّ ابن المقفع قد ذكر في كتبه و خاصة في رسالته للولد الصغير بعض الشروط التي يجب أن يتحلى بها المتعلم منها:

٤-٢-٣-١- النيّة و التوجّه إلى الله، التي يرافقها التوفيق الإلهي كما قال: «و أعلم بأنّي لا أعرف أحداً و إن أدّبوه و هذّبوه بالمواعظ المتواترة و النصائح البالغة يستطيع الإنتفاع بذلك دون أن يساعده التوفيق الإلهي و يدله على قبول تلك الآداب» (شمس الدين، ١٩٩١، ١٤٠).

فالنية عند ابن المقفع بمثابة معين في فطرة الإنسان، إذ يساعده ليعرف به فضيلة الغير و يميّز به النظر الصائب.

٤-٢-٣-٢- العناية و الرغبة، قد أشار ابن المقفع إلى حقيقة تربوية تعليمية و التي هي موضع اهتمام التربية الحديثة، و هو أنّ المتعلم إضافة إلى الاستعداد و الميل الفطري يجب أن يكون عنده الحرص و الرغبة على التعلم ليتحقق الموقف التعليمي المرغوب، فلذلك قال:

«إنّ أول شيء من آدابي و قبول قولي، و حفظ وصيتي، ينبغي أن يكون لك في اكتسابه و ادخاره عناية بغير ريبة، و رغبة صادقة» (ابن المقفع، ١٩٨٩، ٣٣٤).

إذن فالجهد و الإرشادات و النصائح التي يبذلها المعلم لا يكفي، إذا لم توجد في المتعلم الرغبة و النية والاهتمام إلى تعلمه.

٤-٢-٣-٣- التواضع و عدم الإكثار في الادعاء بالعلم؛ من الأخلاق التي ينبغي للمتعلم أن يتحلى بها خلق التواضع و عدم الإكثار في الإدعاء بالعلم، الذي يعد أهم صفات المعلم و المتعلم على السواء. فيقول ابن المقفع عنه: «لا تكثرن إدعاء العلم في كل ما يعرض فإنك من ذلك بين فضيحتين: إما أن ينازعوك فيما أدعيت فيهجم منك على الجهالة و الصلف و إما ألا ينازعوك و يخلوا في يديك ما ادعيت فينكشف منك التصنع و المعجزة» (المصدر نفسه: ٢٦٤).

٤-٢-٣-٤- الحرص على الاستماع؛ يراه ابن المقفع من الأمور التي ينبغي مراعاتها أثناء الدرس على المتعلم، فيقول: «ليعرف العلماء حين تجالسهم أنك على أن تسمع أحرص منك على أن تقول» (المصدر نفسه: ٢٦٣).

و يقول في موضع آخر: «تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام و من حسن الإستماع إمهال المتكلم حتى يقضي حديثه و قلة التلفت إلى الجواب و الإقبال بالوجه و النظر إلى المتكلم و الوعي لما يقول» (المصدر نفسه: ٢٧٧).

٤-٢-٣-٥- عدم التقدم في الكلام؛ نجد أن ابن المقفع جعله من الشروط التي ينبغي للمتعلم الإلتزام به و اتباعه، و في ذلک يقول: إذا رأيت المعلم «يحدث حديثا قد علمته أو يخبر خبرا قد سمعته فلا تشاركه فيه و لا تتعقبه عليه حرصاً على أن يعلم الناس أنک قد علمته فإن في ذلک خفة و شحاً و سوء أدب و سخفاً» (المصدر نفسه: ٢٦٥).

و قد أورد ابن المقفع في كتاباته و من خلال مبادئه التربوية و ارشاداته التعليمية و قواعده السلوكية صفات أخرى، يجب أن يتحلى بها المتعلم كالتقوى و الاجتهاد و علو الهمة و الصدق و استقامة السيرة و حسن الخلق و الصبر و ...، يبدو من خلالها أن ابن المقفع كان شديد العناية باستقامة سلوک المتعلمين و إكسابهم الخصائص و الصفات الشخصية و العلمية و الاجتماعية التي تعدهم ليكونوا أفرادا صالحين لأنفسهم و للمجتمع. فكما نرى إن التربية عند ابن المقفع قائمة على وجوب إجلال العلم، و

الحث على طلبه و السعي إليه و توقير العالم و إعداد المتعلم ليحمل رسالة العلم و يبلغها إلى الناس، عملا على تأمين التواصل بين حاضر المجتمعات و ماضيها الزاهر.

٤-٣- الدين: بناء على ما أسلفنا يرى ابن المقفع أنّ غايات الإنسان لا تتحقق إلا بالعقل و العلم و لكنّه يعتقد بأنّهما إذا لم يكونا لمرضاة الله فقد صارا سبباً لهلاك الإنسان و شقائه.وذلك لأنّ الدين ضامن لكليهما إذ يقول:

«فضل العلم من غير الدين مهلكة، و كثرة الأدب في غير رضوان الله و منفعة الأخيار قائد إلى النار... و العقل غير الوازع عن الذنوب خازن للشيطان» (المصدر نفسه: ٣٠٢)، فلذلک جعل : «الدين أفضل المواهب التي وصلت من الله تعالى إلى خلقه و أحمدها في كل حكمة، فقد بلغ فضل الدين و الحكمة أن مدحاً على ألسنة الجهال، على جهالتهم بهما و عماهم عنهما» (المصدر نفسه: ٢٩٣).

فجملة القول إنّ إبن المقفع إستغلّ أدبه فى سبيل تبيين منهجه الإصلاحى و التربوى. فلا شک أنّ هذا الأمر من أهم الأسباب التي أدت إلى تأثير شخصيته و فكره و آرائه في معاصريه و فيمن جاء بعده من الأدباء الأجلاء الذين نسجوا على منواله في التأليف و اعتمدوا على كتبه كمصادر لمصنفاتهم، و قد استمر تأثيره في المتأخرين و إلى الوقت الرّاهن حتى أننا لا نكاد نجد دراسة أدبية تربوية تخلو من ذكر اسم ابن المقفع و أقواله. و يكفي ذلک شاهدا على قدره و مكانته الأدبية التربوية.

النتيجة

- أظهرت هذه المقالة أن التربية عند ابن المقفع تربية شاملة، واقعية، مثالية، تنبع من مصادر الفكرة التربوية و ترتبط بالحياة و بالناس و المجتمع و من هذا المنطلق نجد حثه على إصلاح الإنسان و استقامته، من خلال تحديد الآراء و الغايات التربوية التي عمل على توضيحها و التأكيد عليها.
- إنّ الوسائل التربوية عند ابن المقفع هي فى مسار الغايات التي كان ابن المقفع يرنو إليها في المواقف الإصلاحية، فمثلاً العقل الذي تتحقق به الآمال يجب أن يحاول الإنسان ليكون من ذويه (ذوي العقول) أو العلم الذي ينمو العقل به يجب على المرء أن يسعى في طلبه، أو الدين الذي هو ضمان العقل و العلم.
- فيجدر بنا أن نشير إلى أنّ ابن المقفع كان من المربّين و المصلحين الذين عملوا على الصعيدين النظري و العملي- التطبيقي، و لأدبه أثر بعيد في مجتمعه و أبناء عصره و ما تلاه، سواء من خلال دعوته الإصلاحية أو بالممارسات و الأخلاقيات.

المصادر و المراجع

[١] آذرنوش، آذرتاش (١٣٨٥ هـ.ش) "ابن مقفع"، دايرة المعارف بزرگ اسلامى، جلد۴ ، تهران: بنياد دايرة المعارف.

[٢] ابن النديم، محمّد بن إسحاق. د. ت. الفهرست. بيروت: مكتبة خياط.

[٣] ابن المقفع، عبد الله. (١٩٨٩م). آثار ابن المقفع. بيروت: دارالكتب العلمية.

[۴] أحمد معلوم، سالك. (١٩٩٣م). الفكر التربوي عند الخطيب البغدادي. (ط٢). مكتبة لينة للنشر و التوزيع.

[۵] الدمرداش، نوري. (١٩٧٩م). المنهاج المعاصر.(ط٢). الكويت: مكتبة الفلاح.

[٦] الزنتاني، عبد الحميد الصيد. (١٩٨٤م). أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية. ليبيا، تونس: الدار العربية للكتاب.

[٧] شمس الدين، عبد الأمير. (١٩٧٩م). موسوعة التربية و التعليم الإسلامية. بيروت: دار الكتاب اللبناني و دار إقرأ.

[٨] ..... (١٩٩١م). الفكر التربوي عند ابن المقفع، الجاحظ، عبد الحميد الكاتب. بيروت: مكتبة المدرسة ودار العالمي.

[٩] ضيف، شوقي. (١٩٩٦م). تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول. (ط١٦). (ج٣). القاهرة: دار المعارف.

[١٠] عبد العال، حسن. التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري. (١٩٧٨م). القاهرة: دار الفكر العربي.

[١١] عبد الموجود، محمّد عزت و آخرون. (١٩٦٩م). أساسيّات المنهج و تنظيماته. بيروت: دار الكتب.

[١٢] عبود، عبد الغني. (١٩٨٠م). **التربية و مشكلات المجتمع**. القاهرة: دار الفكر العربي.

[١٣] عميرة، عبد الرحمن. (١٤٠١هـ). **منهج القرآن في تربية الرجال**. جدة: شركة مكتبات عكاظ للنشر و التوزيع.

[١٤] كرد عليّ، محمد. (١٩٦٩م). **أمراء البيان**. (ط٣). بيروت: دار الكتب.

[١٥] مأمون بن محيي الدين، الجنان. (١٩٩٣م). **عبد الله بن المقفع، حياته، آثاره، أدبه**. بيروت: دار الكتب العلمية.

[١٦] محمد جمال، أحمد. (١٩٨٠م). **نحو تربية إسلامية**. جدة: تهامة.

[١٧] المسعودي، أبوالحسن عليّ بن الحسين. (١٩٣١م). **مروج الذهب و معادن الجوهر**. (ج٤). القاهرة.

Refrences:

[1] Ibn-Roomi, Abu-Hassan Ali bin Abbas bin Jrij, (1991), Al-Diwaan. Explained and Researched by Abd-al-Amir Ali Mahna, (T2). Beirut: Manshoorat Dar Maktaba al-Hilal.

[2] Ibn-al-Nadim, Muhammad bin Issac, (Undated), Al-Fehrest, Beirut: Maktaba Khaiyat.

[3] Ibn-al-Mughaffa' Abd-Allah, (1989), Athaar Ibnal-Mughaffa, Beirut: Daar al-Kutub al-Elmiya.

[4] Ahmad Ma'loom, Saalek, (1993), Al-Fikr al-Tarbowi end al-Khatib, Baghdad: Maktaba Laiyna Publishing and Providing.

[5] Al-Demerdash, Noori, (1979), Al-Menhaaj al-Mu'aser, (T2). Kuwait: Maktaba Fallah.

[6] Al-Zantaani, Abd al-Hamid al-Sayd, (1984), Asas al-Terbia al-Islamiyya fi al-Sunnat al-Nabawiya. Tunisia: Daar al-Arabia lel Kitab.

[7] Shams al-Din, Abd al-Amir. (1979 B.C). Mowsoo'a al-Tarbia wa al-Ta'lim al-Islamiya. Beirut: Darr al-Kitab al-Lobnani wa Dar Eqra'.

[8] …… , (1991), Al-Fekr al-Tarbowi enda Ibn al-Mughaffa', al-Jaahez, Abd-al-Hamid al-Kaateb, Beirut: Maktabata al Madresa wa Dar al-Alami.

[9] Dhayf, Showghi, (1996), Tarikh al-Adab al-Arabi, al-Asr al-Abbasi al-Awwal, (T16). (Part3). Cairo: Daar al-Ma'aref.

[10] Abd al-Aal, Hassan, (1948), Al-Tarbiyat al-Islamiya fi Gharn al-Raabe' al-Hejri. Cairo: Dar al-Fekr al-Arabi.

[11] Abd al-Mawjood, Muhammad Ezzat wa Akharoon, (1996), Asaasiyat al-Manhaj wa Tanzimaatehi, Beirut: Daar al-Kutob.

[12] Abood, Abd al-Ghani, (1980), Al-Tarbiyat wa al-Moshkelat al-Mojtama, Cairo: Daar al-Fekr al-Arabi.

[13] Amira, Abd Al-Rahmaan, (1401 AH), Manhaj al-Quran fi Tarbiyat al-Rejaal, Jeddah: Maktabaat Akaaz Public and Provide Company.

[14] Kurd Ali, Muhammad, (1969), Amra' al-Bayaan, (T3). Beirut: Daar al-Kutob.

[15] Ma'moon ibn- Mohyi al-Din, Al-Jinan, (1993), Abd-Allah ibn Mughaffa', Hayatehi, Atharehi, Adabehi. Beirut: Daar al-Kutob al-Elmiya.

[16] Mohammad Jamaal, Ahmad, (1980), Nahwa Tarbiyata al-Islamiya, Jeddah: Tahama.

[17] Al-Mas'oodi, Abu-al-Hassan Ali ibn al-Hussain, (1931), Marooj al-Zahab wa Ma'aden al-Jawhar, (Part4). Cairo.

[18] Mikafili, Nichola, (2004), Al-Amir, Translate and Research by Akram Mo'men. Maktaba Ibn al-Sina Publish and Provide.

[19] ……, (1982), Motarehat, Ta'rib Kheyri Emaad, Beirut: Manshooraat Daar al-Afaagh al-Haditha.

مواضع تربیتی و نکات اصلاحی در ادب ابن مقفع

دکتر سید فضل الله میرقادری[1]، دکتر لیلا جمشیدی[2]

تاریخ دریافت: ۱۳۹۱/۱۱/۱۷ تاریخ پذیرش: ۱۳۹۲/۵/۱

یکی از رویکردهای مهم در ادبیات، رویکرد تربیتی است. در عرصه‌ی ادبیات، بزرگانی وجود دارند که آثارشان رنگ اخلاقی و تربیتی به خود گرفته است. ابن مقفع از جمله ادیبانی است که در آثار خویش، رفتار انسان را در زمینه‌های گوناگون مورد توجه قرار داده و به مسائل تربیتی عنایت ویژه‌ای داشته است. اگرچه پژوهشگران بسیاری با هدف کشف جنبه‌های زبانی و بلاغی، آثار وی را مورد بررسی قرار داده‌اند؛ ولی به جنبه تربیتی این آثار چندان توجهی نشده است. این در حالی است که ابن مقفع در آثار ادبی خویش به مسائل تربیتی و ارائه اصول و تبیین مبانی توجهی در خور داشته و کوشش وی در تعیین اهداف تربیتی و پیش بینی راه‌کارهای تحقق آن بسیار قابل توجه است. در این مقاله با بکارگیری شیوه توصیفی- تحلیلی، سعی بر آن است که اندیشه‌ها و مبانی تربیتی ابن مقفع در زمینه اصلاح و تربیت با دستیابی به آرای پراکنده وی در کتاب‌ها و نامه‌هایش، استخراج و مورد تحلیل قرارگیرد و در پایان به این نتیجه دست یابد که ابن مقفع به عنوان یک ادیب از مربیان و اصلاح‌گرانی است که در دو زمینه نظری وعملی اثر گذار بوده و مضامین تربیتی که او در آثارش بدان پرداخته، از بهترین نمونه‌ها برای راه‌یابی جامعه‌ی انسانی به سوی زندگی برتری است که سعادت دو جهانی انسان را تضمین می‌کند.

کلید واژه‌ها: ابن مقفع، رویکرد تربیتی، انسان، جامعه انسانی.

[1]. دانشیار دانشگاه شیراز. sfmirghaderi@gmail.com

[2]. استادیار دانشگاه پیام نور. ljamshidi53@yahoo.com

Educational Procedure and Reforms in Ibn-e-Moqaffe's Literature

Seyed Fazl Ullah Mirghaderi[1], Leila Jamshidi[2]

Received:2013/2/5 Accepted:2013/7/23

One of the important procedures in literature is educational one. Ibn-e Moqaffe is one of the pioneers in the literary domain whose works have variously dealt with cultural and educational aspects. Human behavior in various fields has also taken into account by Moqaffe. Although most of the researchers have studied his works with the aim to discover linguistic and rhetorical aspects, but none of them could pay attention to his educational aspect. Ibn-e Moqaffe pays heed to educational subjects, presenting principles and remarking its purposes. He is very remarkable in attempting to determine educational goals and anticipating ways of their accomplishment.Using descriptive- analytic method, this study tries to review Ibn-e Moqaffe's educational thoughts and principles on pedagogy and to achieve sporadic views of him which have been extracted from his books and letters. The findings show that Moqaffe as a literati, is a mentor and reformer who has influence in both theoretical and practical aspects. Educational concepts in his works are best for the advancement of a human society toward better life which guarantees human bliss in this world and afterword.

Keywords: Ibn-e Moqaffe; Educational Procedure; Human; Human Society.

[1]. Associate Professor, University of Shiraz, sfmirghaderi@gmail.com
[2]. Associate Professor, University of Shiraz, ljamshidi53@yahoo.com